

## الطغيان في العراق القديم

## بين الديمocrاطية البدائية ونظرية التفويض الإلهي

أ.م. د خالد موسى عبد

## المقدمة

إن أي نظام سياسي يجد له مقومات لنهوضه فإن هذه المقومات لابد لها أن ترتبط مع ما يتماشى وطبيعة المجتمع وأساسياته.

والمجتمع العراقي القديم واحد من المجتمعات التي عاشت في صراع مع الطبيعة من أجل البقاء وإيجاد سبل العيش ونتيجة لذلك عاش الإنسان في خوف وتردد لاعتقاده أن هناك قوى خفية مسيطرة على الكون لا بد له من إيجاد سبيل لإرضائها فتجسد هذا الإرضاء بأن جعل لكل ظاهرة طبيعة إليها يعبده ويرضخ لأمره ويتحاشى غضبه ويفعل أي شيء تلبية لأمره<sup>(١)</sup>.

من هذا المنطلق وظفت هذه الفكرة لتندرج ضمن أولويات العمل لإنشاء المنظومة السياسية في العراق القديم فجاءت نظرية التفويض الإلهي لتضع أطرا للعمل السياسي على اعتبار أن السلطة السياسية هي سلطة إلهية مقدسة أزلية فكل ما يصدر منها من أحكام هي أحكام شرعية ملزمة التنفيذ وعلى وفق ذلك كان اختيار الملك ليكون ممثلا وراعيا للآلهة في الأرض<sup>(٢)</sup>، وبهذا أعطت هذه النظرية ترسياً عملياً لظهور الطغيان واستبداد الملوك على أساس أن نظامهم مقرن بالآلهة وإرادتها فكل أفعالهم مبررة بل يضفي عليها طابع التقديس ، وهذا بطبيعة الحال يتناقض مع ما قدمه بعض الباحثين على أن بدايات النظام السياسي في العراق القديم كان أقرب ما يكون إلى الديمocratie مستدين إلى بعض النصوص الملحمية التي تشير إلى وجود مجالس محلية كان لها أثر في القرار السياسي<sup>(٣)</sup>.

من هنا جاءت فرضية البحث لتوضح فكرة الطغيان في العراق القديم وكيف ترسخ ضمن إطار ديني وما نتج عنه من استبداد تحت هذا الغطاء موضعين أن السلطة السياسية وجدت مع وجود المدينة وتعمل وفق منظور ديني محكم لا يمكن التجاوز عليه أو اختراقه وأتبعنا منهجاً يقوم على العرض والتحليل لتأكيد فرضية البحث.

## الطغيان في اللغة والاصطلاح

الطغيان في اللغة هو الغلوّ وكل شيء يجاوز القدرة فقد طغى ، يقال طغى ماء البحر : أرتفع وعلا على كل شيء فاخترقه<sup>(٤)</sup> ، (طغى) يطغى طغياً ويطغو طغياناً : جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر وأسرف في المعاشي والظلم<sup>(٥)</sup>.

فمعنى الطغيان لغة هو ((جاوزة الحد أو القدر المعلوم)) ، أما ما ذكره اللغويون من أنه جاوزة الحد في العصيان أو الظلم والمعاصي أو الغلوّ في الكفر فإنما هو حسب الاستعمال القرآني للمفردة وما جاء بها من تفسير يخص الطغاة وأفعالهم<sup>(٦)</sup>.

والطاغية والطاغوت مشتقان من طغي وجمع الطاغوت طاغيت أو طواغي ، والطاغي هو الظالم المسرف في الظلم وهو الجبار العنيد الذي لا يبالي ما أتى<sup>(٧)</sup>.

والطاغية يفترط على شعبه وعلى من حوله((إن الإنسان ليطغى))<sup>(٨)</sup> أي أنه يستغني عن الآخرين حتى يضل عن الصواب<sup>(٩)</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الفتنة كأبرز ظاهرة اجتماعية تهدد المجتمع بالفوضى حين تغيب الرؤية ويتنازع على الحق فتتمد المخاطر إلى المجتمع برمتها ، قال تعالى ((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا إن الله شديد العقاب))<sup>(١٠)</sup>.

ولكن القرآن الكريم إذ يستذكر الفتنة لا يجعلها مبرراً لتكريس الطغيان وأن شرع القوة في مواجهتها ، فالهدف هو حакمية الدين لا الطاغوت ، لذا كانت منظومة الطغيان أكثر تناولاً عبر آيات الذكر الحكيم لأن الطغيان قد يكون من الفرد ويكون أحياناً من الأمة<sup>(١١)</sup>.

وقد عرف الطغيان من المنظور السياسي على أنه ((نظام الحكم الذي يتسم بتركيز شديد للسلطة في يد فرد واحد (أو تنظيم واحد) يمتلك سلطات غير محدودة ويتسلط سياسياً على كل المحكومين ، ويمارس الحكم بصورة تحكمية قهيرية فلا يعترف بالحرية السياسية أو القانون))<sup>(١٢)</sup>.

وارتبط هذا المعنى مع ما جاء في معاجم اللغة من التسلط والتفرد بالرأي وجعل قوته هي القوة المطلقة التي لا يمكن لأحد التجاوز عليها أو خرقها لأنه هو القانون.

وقد وردت ألفاظ عدة ذات صلة بالطغيان (الإسراف ، العلو ، الاستكبار ، التجبر ، العتو ، الظلم ) كل هذه الألفاظ تظهر شخصية الطاغية وتوافق معه من حيث التسلط وقيادة الناس برأياً يعتبرها الطاغية هي الأصح من أجل أن يدوم حكمه وينفرد بالسلطة<sup>(١٣)</sup>.

## الطغيان الشرقي

لقد ظهر مفهوم الطغيان لاسيما مصطلح (الطغيان الشرقي) من ضمن المفاهيم التي تناولها الفلاسفة والمفكرون الغرب من أجل تبريرهم لشرعنة الحكم في الشرق وعدوه نوع من الاستبداد والسلط بعكس الحكم الديمقراطي الذي تكون فيه شخصية الحاكم محدودة بوظيفة سياسية بحسب الممارسة الديمقراطية إلا أن الحكم الشرقي لا تحد ممارسة بل يجوز له ما لا يجوز لغيره<sup>(١٤)</sup>.

والطغيان كممارسة سياسية هو الاستبداد وذلك بسلب الحكم الصالح من أهله وتجاوز القانون الذي يرعى الصالح العام ، إذ ليس هناك من حد قانوني للطاغية فهو يسخر كل شيء لإرادته ورغباته<sup>(١٥)</sup> ، وهذا ماتنبه إليه أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ق.م) بقوله إن حكم الفرد الواحد يتفرع إلى ((ملكية)) خاضعة لقانون و ((طغيان)) تعسفي بشكل بحت<sup>(١٦)</sup>.

ومعنى الاستبداد هو حرمان الناس من ممارسة حقوقهم الطبيعية كأحرار فالطاغية يفرض نفسه على الناس باغتصاب الحكم كرها ، أو ان الناس هم الذين يضعونه لأنهم أفسوا حياة الاستبعاد جيلا بعد جيل ، فلم يعودوا قادرين على تحمل مسؤولية الحرية فيرکون إلى الذل تحت سطوة المستبد وهو الإفراط بلغة أفلاطون ، ويشبهه أفلاطون الطاغية بالذئب لأنه يذوق بلسانه دم أهله<sup>(١٧)</sup>.

والطغيان حسب تعريف أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ق.م) هو صورة للحكم الفردي في ممارسة السلطة دون رقيب ولا حسيب ، وهو بذلك يسوغ لنفسه صفة من صفات الألهة ((لا يسأل عما يفعل))<sup>(١٨)</sup>.

ونظر أرسطو إلى الطغيان الشرقي إلى أنه معاملة السيد لعبده حيث نجد لدى الشعوب الأسيوية على خلاف الشعوب الأوروبية طبيعة العبيد وهي لهذا تتحمل حكم الطغيان بغير شکوى وتدمر<sup>(١٩)</sup>.

وسار على هذا النهج الفلاسفة المحدثون<sup>(٢٠)</sup> بحيث نظروا إلى الحاكم الشرقي وكأنه رمز الاستبداد والسيطرة على رقاب الناس لاغين دور الشعب بشكل تام ومن هنا نلاحظ ظهور الطابع العنصري الطاغي في ذلك العرض لكونهم حكموا على هذه الظاهرة بشكل عام دون تحليل أو تميز.

لقد ربط أحد المفكرين بين ظهور الطاغية والأعمال الإروائية والزراعية التي كانت هي أساس اقتصاديات الشرق ولاسيما العراق القديم حيث ذكر أن تلك الأعمال الهائلة التي تقوم بها هذه الشعوب لأغراض الري ووسائل الانتقال والمواصلات هي التي أعطت الأسس لقيام تلك الظاهرة<sup>(٢١)</sup> مستخلصا أن الدولة الاستبدادية تقوم على ثلات مهام جوهرية لتحقيق الإنتاج الزراعي وهي :-

- ١ مهمه توصيل المياه من النهر إلى الأرض.
- ٢ مهمه حماية الأرض الزراعية من غواص الفيضان.
- ٣ مهمه توفير مياه الري في فترات التماريق<sup>(٢٢)</sup>.

هذه المهام لا يمكن تحقيقها من قبل الأفراد فلابد من وجود دولة قوية تقوم بتنظيمها، بمعنى أن الطغيان كان ضرورة ملحة في البلدان التي تعتمد على الزراعة والتي يجبر إلى أعمال كبيرة لا يستطيع أن يقوم بها الأفراد ، ولهذا أدت تلك الظروف مجتمعة إلى ظهور الدولة القوية بما تعتمده من وسائل الفهر المادي والمعنوي لخضوع الناس إلى الطاعة فسراً نتيجة حاجة الناس إلى الأمان والاستقرار<sup>(٢٣)</sup>.

وهذا ما ذهب إليه هنري فرانكفورت بقوله (في حالة الطوارئ عندما كانت الحاجة تدعو إلى قرار سريع أو عمل في غاية الخطورة كانت المدينة في مابين النهرين كالجمهورية الرومانية ، تضع نفسها في يدي دكتاتور ، وفي سومر كان هذا الحاكم يسمى (لوكان) أي الرجل العظيم وتترجم عادة (الملك) ...) <sup>(٤)</sup> فأن هذا الملك طيلة الفترة التي يواجه بها الحالة الطارئة كان محكوما بالمصدر الذي استمد منه سلطته التي كانت تعد دائما سلطة مؤقتة وغير شخصية لا تمارس إلا أثناء الأزمات ، ولكن سلطة الملك هذه سرعان ما تحولت إلى سلطة دائمة وثابتة وكان ذلك إذانا بقيام مرحلة جديدة في تاريخ العراق القديم إلا وهي مرحلة السلطة السياسية المطلقة التي استمدت عنوانها وهيبتها من السلطة الألهية التي أدعت على إنها أوكلتها أو فوستها لإدارة شؤون البلاد<sup>(٢٥)</sup> وبذلك المعنى كرست نظرية الطغيان فقد أكسبها صفة شرعية لا يمكن التجاوز عليها أو إعادة النظر بها ومن هذا المنطلق جاءت العملية في صالح الملك فكل أفعاله مبررة لأنه يحكم بأمر الأله.

ومن الجدير بالذكر أن هذه المرحلة المهمة في تاريخ العراق القديم قد سبقتها مرحلة ظهرت في المدينة السومرية أسماءها الباحثون مرحلة الديمقراطية البدائية كإشارة منهم إلى وجود نظام ديمقراطي كانت عليه المدينة السومرية مستدين إلى بعض النصوص التي ذكرت أحداثاً معينة كان قرارها مصدر جماعي ، فأن الديمقراطية البدائية بتسميتها هذه كانت قائمة في الجوهر على جهاز شعبي يتمثل في مجلسين، مجلس يضم كل الناس الأحرار (المجلس العام) إلى جانب آخر كانت سلطته تتصرف إلى معالجة الأمور اليومية ويضم مجموعة من الشيوخ (مجلس الكبار)<sup>(٢٦)</sup>.

وساق الباحثون عدداً من الأدلة التي تؤكد دور هذين المجلسين في العملية السياسية ولاسيما حالة الصراع بين كلكامش (حاكم اوروك) و أكا (حاكم كيش) وما دار بينهما من نزاع وتخاصل بشأن الأرض والمياه وقد دعى ذلك كلكامش إلى عرض هذا الموضوع على المجلسين فطلب منه مجلس

الشيوخ التراث في ذلك أما المجلس العام فأيده على خوض الحرب وقد مال كلکامش إلى الطرف الثاني وحشد الناس لخوض تلك المعركة<sup>(٢٧)</sup>.

ومن سياق النص نلاحظ ان العملية ذات طابع ديمقراطي لا يمكن تجاهله ولكن إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار العمل الذي تطلب من كلکامش دعوة المجلسين ألا وهو الحرب فهذا أمر طبيعي لأن المعركة لا يخوضها إلا أهل المدينة ولا يوجد تنظيم عسكري أو جيش له خصوصية في المدينة السومرية فلا بد لكلکامش أن يذعن إلى أراء تلك المجالس لأنه لا يستطيع وحده محاربة (كيش).

الشيء الآخر الذي دعا الباحثين إلى السير وفق هذه النظرية ما ذكر في ملحمة كلکامش حينما عزم الأخير على مصارعة (خمبابا) حارس غابة الأرض وقبل أن يقدم على عمله هذا استشارة مجلس الشيوخ وخطبهم في الأمر ولكن المجلس رفض طلبه ولم يستجب إليه على أساس أنه مازال شاباً ولا يعرف عاقبة ما يقدم عليه.

ولكن كلکامش لم يذعن إلى ما قاله المجلس ونفذ إرادته دون المبالغة إلى ما قدموه من نصائح له في ذلك وبعدها يقر المجلس بالأمر الواقع ويدعو له بأن ينصره الآله الحامي<sup>(٢٨)</sup>.

سياق النص واضح جداً بأن كلکامش قرر الخروج من أوروك لقضية ما وقد لا يرجع فمن المستحسن أن يوكل أمر البلاد إلى هذا المجلس ولم يعين شخصاً آخر بعده حتى يسمح له بالعودة مرة ثانية وممارسة كل حقوقه كملك.

ما ذكره الباحثون فيما يخص العملية السياسية في العراق القديم لاسيما فيما يتعلق باختيار قائد وقت الأزمات وما يطلق عليها الديمقراطية البدائية فإن ذلك يتناقض مع ما جاء في النصوص التي تذكر أن الملكية هي موجودة منذ الأزل مع وجود الآلهة وأنها هبطت من السماء قبل الطوفان في مدينة أريدو ثم صعدت إلى السماء بعد أن حل الطوفان في الأرض وعادت مرة أخرى إلى مدينة كيش مع نهاية الطوفان ، ونزلت معها كذلك شارات الملكية حيث كانت عند دكة عرش الآله (أنو) وهي الناج والصولجان والعصا الملكية والخيط وأدوات القياس<sup>(٢٩)</sup>.

وتختار الآلهة من ينوب عنها على الأرض من الأشخاص الجديرين بحمل الملكية وأعبائها فعند ذلك يستحق أن يطلق عليه لقب ملك فهو نائب عن الآلهة ومسؤول أمامه<sup>(٣٠)</sup>.

وبذلك نلاحظ أن مسألة وجود الملك و اختياره كانت موجودة منذ أن وجدت المدينة فلا أساس للعملية الديمقراطية أو الاختيار وأن وجدت فليس لها دور وإنما هي كانت انعكاساً لما يدور في مجلس الآلهة<sup>(٣١)</sup> فلم يكن لها من القوة والتنفيذ سوى مسميات فإن اختيار الملك مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعملية

قدسية حتى يكسب من خلالها القوة والنفوذ والسيطرة ومصادرة حق الآخر وهذا ما لمسناه بشخصية ملك اوروك (كلكامش) فما فعله بأهل مدينته ما هو إلا تأكيد لمنزلته المقدسة

(( لم يترك كلكامش ابنًا طليقاً لأبيه

ولم تنتفع مظالمه عن الناس ليل نهار ...

لم يترك كلكامش عذراء طليقة لأمها

ولا ابنة المقاتل ولا خطيبة البطل...))<sup>(٣٢)</sup>

هذه حالة واضحة لممارسة الطغيان والانفراد بالحكم دون أن يأخذ بأي رأي ولم يراعي حق شعبه وإنما كان هدفه الأول هو شخصه دون غيره وتستمر الملحة بذكر هذا الفعل وتشير إلى إن الشعب ليس له سلطة على الملك ولا يستطيع أن يجد له البديل حيث إن الآلهة خلقته وأعطته تلك القوة فهي الوحيدة التي تستطيع أن تزييه فقد وضعت الشعب موضع الضعف حتى توسلوا إلى الآلهة كي تنتقمون من طغيان هذا الملك

(( وأخيراً سمع الآلهة نديهم وشكواهم

فاستدعى آلهة السماء رب (اوروك) وقالوا له

اله الخلق (ارورو) هذا الثور الوحش الجبار؟

الذي لا يضاهي فتك أسلحته سلاح آخر

والذي تستيقظ رغبته على ضربات الطبل

كلكامش الذي لم يترك ابنًا طليقاً لأبيه

وما فتئ يضطهد (يكر) الناس بمظالمه ليل نهار ...

يا (ارورو) أنت التي خلقت هذا الرجل

فأخلقي الأن غرباماً له يصارعه في اللب والعزم

وليكونا في صراع مستديم لتنال (اوروك) السلام والراحة))<sup>(٣٣)</sup>.

فاستجابت الألهة لذلك الطلب وخلفت له من يصارعه وهو انكيدو

((سأصرخ من قلب (اوروك) أنا الأقوى

أجل أنا الذي سأبدل المصائر

انا الذي ولد في الصحراء هو الأشد والأقوى))<sup>(٣٤)</sup>

وبعد أن التقى كلacamش وأنكيدو دار بينهما صراع كبير وظلا يتصارعا كالثورين الوحشيين وحينما انتهى كلacamش وقدمه ثابتة في الأرض (ليدفع انكيدو) واستدار ليمضي هدأة سورة غضبه ولما هدأ غضبه كلمه انكيدو وقال له : ((انك الرجل الأوحد ، أنت الذي ولدتك أمك (انسونا) البقرة الوحشية المقدسة ورفع (انليل) رأسك عاليا على الناس وقدر إليك الملوكية على البشر))<sup>(٣٥)</sup>.

أن غضب الناس دعى الألهة لاستجابة طلبهم التي ترى فعل الرعوي السياسي مقتربنا بفعل الألهة وأنه الوسيط بين السماء والأرض ، لهذا جاءت استجابة الألهة بشكل غير مباشر من خلال خلق منافس له هو انكيدو فأن الملحة تعكس نوعين من المشاعر الأولى مشاعر الرهبة التي يثيرها الرعوي السياسي الحامي، اذا اخذنا بنظر الاعتبار جبروت هذا الرعوي الذي لا يمكن التصدي له إلا بالشكوى إلى الألهة وهو يثير الريبة والخوف ويعطي انطباعاً لديهم بفقدان جدوى المفهوم الاجتماعي نفسه ونهاية القواعد والاختلافات التي تميز الأنظمة الثقافية<sup>(٣٦)</sup>.

أما النوع الآخر فهي مشاعر المحبة فأن الأزمة التي قامت بفعل تقدير مسبق من السماء والتي حاولت إصلاح الأمر بإدخال (انكيدو) جعل من كلacamش محبوبا لدى أهل اوروك ((أن منتهك القانون يتحول إلى مصلح للقانون بل مؤسس له بعد أن كان قد خرقه في عجلة بعض الشيء وال مجرم شديد الأجرام يصبح من أحد أعمدة النظام الاجتماعي))<sup>(٣٧)</sup>.

كل هذا التضمين الذي ساقه الملحة لم تضع في اعتباراتها اي شيء يخص الجانب الفعلي والتطبيق العملي لما ذكره الباحثون من تلك المجالس الديمقراطية فما هي إلا نتاج صوري غير واقعي فهي تحكم ولا تسود.

ومن خلال تتبع تلك النصوص نجد أن الشعب ليس له إرادة في تقدير مصيره وإنما كان كل ذلك مرتبط ارتباط وثيق بالإلهة فهي التي تثبت وتزيل فائين اختيار الشعب في ذلك؟ هذا هو الترسير العملي لفكرة الطغيان لدى ملوك العراق القديم.

## الأصل الإلهي للسلطة السياسية

من الأمور الأساسية التي رسمت فكرة الطغيان في العراق القديم هي نظرية التفويض الإلهي التي عد من أساسيات السلطة السياسية حيث جذرت مفهومها في الفكر العراقي القديم وكان يذهب إلى الاعتقاد بأن السلطة السياسية كانت قائمة أصلاً في السماء وبالتالي فإن الناس على الأرض لا يعرفون منها إلا انعكاسها وأن العاهل ما هو إلا التجسيد العيني لهذا الانعكاس<sup>(٣٨)</sup>.

بهذا المفهوم غلقت كل المنافذ على العراقي بأنه يختار من يمثله من السلطة وأن الآلهة هي التي ترعى ذلك دون البشر على اعتبار أن البشر قاصرون في معرفة من يحمل السر الإلهي الذي يتميز بصفات عدة تجعله مؤهلاً لأن يكون ملكاً.

وقد أظهر ملوك العراق العديد من النصوص التي تبين أخصائاتهم في العرش من خلال اختيار الآلهة لهم فهذا سرجون الأكدي ((أنا سرجون الملك القوي ، ملك أكاد ، كانت أمي من عذاري الهيكل ، لم أعرف أبي ، بينما لبث أخو أبي في الجبل. وفي مدينة أزو بيراني ، على ضفاف الفرات ، حبلت أمي بي ، ولدنتي سراً ، ووضعتني في سلة من الأسل وسدت فتحاتها بالجلبان وتركتني للتيار حيث لم أغرق ، وحملني التيار حتى أكي ، غراف الماء. وانتشلني أكي غراف الماء ، الطيب القلب من المياه، ورباني أكي غراف الماء ، وكأتنى ابنه، وصرت بستانى أكي غراف الماء. وحين كنت بستانيا ، مال قلب عشتار إلى فأصبحت ملكاً وحكمت طوال خمسة وأربعين عاماً)).<sup>(٣٩)</sup>.

وتشير مقدمة قانون الملك أور-نحو (٢٠٩٦-٢١١٣ق.م) إلى كيفية تفويض الإلهين (أنو) وأنيل) ملوكية أور إلى الآلهة (ننار) إله مدينة (اور) ، ثم اختار هذا الآله (اور-نحو) ليمثله على الأرض في حكم أور<sup>(٤٠)</sup>.

وبنفس السياق نجد في تمجيد مقدمة قانون الملك حمورابي (١٧٦٣-١٧٩٢ق.م) من حيث تأسيس مدينة بابل وتعيين الآله مردوخ الها على المدينة ومن ثم اختيار حمورابي ليكون ملكاً على بابل:



(( عندما (قضيا) الإله (انو) المتسامي ملك الأنوناكي ))

وإله (النيل) سيد السماء والأرض

## مقرر مصائر البلاد

قضياً (مردوك) الأبن الأكبر سلاله (أنكي)

(أن يتمتع) بقدسيّة الآله (أنليل) على كل البشر

## وَجْهَهُ عَظِيمًا بَيْنَ الْأَيْكَيْكِي

وسميا (بابل) بأسمها العظيم

## وجعلها المستقيمة في العالم

وَثَبَّتَ لَهُ فِي وَسْطِهَا مُلُوكِيَّةً أَبْدِيَّةً

## اسسها ثابتة كالسماء والأرض

آنذاك اسميانى (اللهان) أنو وانليل باسمى حمورابى الامير

النبي الذي يخشى الآلهة)) (٤١).

وفي نص للملك الأشوري سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ق.م) نلمس بوضوح دور الآلهة في اختياره ولليأ للعهد وتنصيبه على العرش ومناصرته منذ أن كان جنيناً في رحم أمه: ((الآلهة اعنت بي وخصتني بعطفها عندما كنت ما أزال صغيراً في رحم أمي التي ولدتني وسهرت عليّ ومنحتني رحمة واسعة في فترة وجودي في بطن أمي و منحتني إدراكاً قوياً وعدالة السيدة ادايا...)).<sup>٤</sup>

من ذلك يتبيّن أن الملك الحقيقى هو الله المدينة وبدوره كان يختار الأمير الذى يمثّل الآلهة ، يودع لديه قوته ليكون بالتالي مجرد منفذ لأرادته فكل ما يقوم به الملك من أفعال هي منزلة من قبل الإله وبذلك تكون كل أفعاله تجاه الشعب كانت مبررة ، (الإله الذى أراد ذلك) وأن تصدى أحد ما على هذا الحكم فينال غضب الآلهة فتطرده من رحمتها ويكون إنساناً مذموماً، فنجد العراقي لا يتقرّب إلى ذلك فما يريده هو إرضاء الآلهة وتجنب سخطها لأنّه يقف موقف المتحير إزاء العالم الآخر عالم ما بعد الموت الذى يجهله رغم إن العراقي القديم كان يرى أن الموت أمر مقرر لا يمكن الفرار منه ومع ذلك الاستسلام لم يعف العراقي من الخوف والقلق عندما يواجه الموت لأنّه يواجه المجهول،لذا كان يخاف ذلك العالم فيلجاً إلى إرضاء الآلهة عسى أن تكون حياته طيبة وسعيدة في العالم السفلي ويشكّل ذلك ركناً من أركان دين العراقي القديم (٤٣).

من جانب ثان ان العراقي كان إنسانا متدينا إلى حد بعيد بل إنه يشعر بالتبعية المطلقة إزاء الآلهة وأن هذه التبعية كانت تنفذ إلى كل مكونات حياته فكان يتبع ويشيد المعابد ويختار أسماء له مرتبطة بالآلهة ، ويعتقد أن للسلطة الإلهية حدودا لا يمكن تجاوزها<sup>(٤)</sup>.

هكذا كانت الشخصية العراقية فارتباطها الروحي جعلها ترضخ لذلك الارتباط دون الالتفاف عليه أو الخروج منه فقبل كل ما أنزل عليها لأنها تعتقد في ذلك أمراً إلهياً لا يمكن تغييره ومن هذا المنطلق جاءت أفعال ملوك العراق القديم بما يحملونه في بعض الأحيان من حكم مسلط ضمن نطاق شرعي قادتهم له نظرية التقويض الإلهي.

## الخاتمة

يمثل الدين ركناً أساسياً في حياة الشعوب لا يمكن الاستغناء أو إيجاد البديل عنه فهو عملية روحية تشعر الإنسان بالاستقرار واستمرارية الحياة.

و ضمن هذا المفهوم عاشت الشخصية العراقية القديمة بكل ما يحتويه معنى الدين ليس فقط علاقة الشخص بالآلهة وإنما انسحب كذلك على التكوين السياسي الذي اتخذ من هذا السبيل منفذًا لإقرار السلطة السياسية وجعلها سلطة قوية لا يستطيع الفرد التجاوز عليها لأنها محكمة بقانون إلهي مقدس.

فمنذ وجود المدينة وجد التنظيم السياسي في العراق القديم وظهر بشكله الكامل فيما وأن أولويات الحكم كانت جاهزة على اعتبار أن الآلهة هي التي تختار من ينوب عنها في الأرض ، فمنح هذا الأمر للملك سلطة أقوى وأشمل لأنه شخص إله فكانت كل أفعاله مبررة تحت غطاء شرعي فإنه لا يحاسب لأنه مقدس فكل هذه الهالة جعلته يطغى وتنظره شخصية الملك المستبد ، فلم يكن أمم العراقي بما يحمله من صفة التدين الا أن يذعن إلى الأمر الواقع حتى لا يدخل في صراعات مع الآلهة وبالتالي يعد مذنباً فتنقطع عنه الرحمة فلا يتدخل بشأن الملك لأنه مؤمن أن الآلهة هي التي تثبت وهي التي تزيل فلا يكون أي أمر إلا بإذنها .

هذا الأساس الذي بنيت عليه السلطة السياسية في العراق القديم وليس كما ذكر بعض الباحثين أن هناك عمليات اختيار شعبي للسلطة أو شؤون سياسية تدار من قبل الناس.

فالملك هو السلطة العليا التي لا يمكن قهرها أو تجاوزها لأن الآلهة هي التي أعطته هذا الحق بحسب نظرية التقويض الإلهي.



- (١) علي ، فاضل عبد الواحد ، عشتار ومساًة تموز ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٣ ، ص ٢١ ؛ باقر ، طه وفاضل عبد الواحد علي وعامر سليمان ، تاريخ العراق القديم ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ١٠ وما بعدها.
- (٢) الطعان ، عبد الرضا ، الفكر السياسي في العراق القديم دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٣٨٦.
- (٣) المرجع نفسه ، ص ٢٥٣.
- (٤) الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، كتاب العين ، تحقيق : مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١ ، ج ٤ ، ص ٤٣٥.
- (٥) الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، ط ٥ ، تحقيق : مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ، إشراف : محمد نعيم العرقاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ج ١٥ ، ص ٧.
- (٦) للمزيد عن هذا الموضوع ينظر : سبيبداري ، عبد الرحمن عمر ، الطغيان السياسي وسبل تغييره من المنظور القرآني ، د.ت. ، ص ٢٥ وما بعدها.
- (٧) ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ج ١٥ ، ص ٩.
- (٨) سورة العلق ، آية : ٦.
- (٩) البستاني ، عبد الله ، البستان معجم لغوي مطول ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ٦٦١.
- (١٠) سورة الأنفال ، آية : ٢.
- (١١) ينظر : سبيبداري ، الطغيان ، ص ٢٥.
- (١٢) الربيع ، محمد محمود ، موسوعة العلوم السياسية ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الكويت ، ١٩٩٤ ، ج ١ ، ص ٢٩٤.
- (١٣) للمزيد عن توضيح هذه الألفاظ وعلاقتها بالطغيان ، ينظر : سبيبداري ، الطغيان ، ص ٤٥ وما بعدها.
- (١٤) إمام ، أمام عبد الفتاح ، الطاغية دراسة فلسفية لصور من الإستبداد السياسي ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٤ ، العدد ١٨٣ ، ص ٥٩ وما بعدها ؛ وهبة ، مراد ويوفى شلاله ويوفى كرم ، المعجم الفلسفى ، ط ٢ ، دار الثقافة الجديدة ، د.ت. ، ص ٢٤٢.
- (١٥) المحجوب ، ملخص ، ظاهر الطغيان في الحكم ضاربة في القدم وموصولة تأريخياً بواقعنا المعاصر ، مجلة اقلام ، العدد الخامس ، السنة الأولى ، جويلية ، ٢٠٠٢ ، ص ٢ ؛ موقع [www.mafhoum.com](http://www.mafhoum.com).
- (١٦) شوفاللبيه ، جان جاك ، تاريخ الفكر السياسي ، ترجمة : محمد عرب صاصيلا ، ط ٤ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص ٥٣.
- (١٧) إمام ، الطاغية ، ص ٥٧ ؛ ربيع ، موسوعة العلوم السياسية ، ج ١ ، ص ٢٩٤ ؛ المحجوب ، ظاهرة الطغيان ، ص ٢.
- (١٨) المحجوب ، ظاهرة الطغيان ، ص ٢.
- (١٩) إمام ، الطاغية ، ص ٢٦٣.
- (٢٠) للمزيد عن ذلك ينظر : المرجع نفسه ، ص ٢٦٤ وما بعدها.
- (٢١) إمام ، الطاغية ، ص ٢٦٦.



- (٢٢) المرجع نفسه ، ص ٢٦٨.
- (٢٣) المرجع نفسه ، ص ٢٦٨.
- (٢٤) نقلًا عن : الطuan ، الفكر السياسي ، ص ٢٤٧.
- (٢٥) المرجع نفسه ، ص ٢٤٩.
- (٢٦) كريم ، صموئيل نوح ، من ألواح سومر ، ترجمة : طه باقر ، بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ٨١ ؛ فرانكفورت ، هنري وآخرون ، ماقبل الفلسفة ، ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ١٧٤-١٧٦ ؛ ساكيز ، هاري ، عظمة بابل - موجز حضارة بلاد الرافدين القديمة ، ترجمة : عامر سليمان ، الموصل ، ١٩٧٩ ، ص ٥٨.
- (٢٧) الطuan ، الفكر السياسي ، ص ٢٥٥ ؛ كريم ، صموئيل نوح ، السومريون ، ص ٢٥٧.
- (٢٨) باقر ، طه ، ملحمة كلكامش ، دار الوراق ، لندن ، ٢٠٠٦ ، ص ١١٤.
- (٢٩) كريم ، السومريون ، ص ٤٧٣ ؛ الزيباري ، محمد صالح ، النظام الملكي في العراق القديم دراسة مقارنة مع النظام الملكي المصري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ١٩٨٩ ، ص ٣٩ وما بعدها.
- (٣٠) الزيباري ، النظام الملكي ، ص ٣٩.
- (٣١) للمزيد عن هذا الموضوع ، ينظر : الطuan ، الفكر السياسي ، ص ٢٦٢ وما بعدها.
- (٣٢) باقر ، ملحمة كلكامش ، ص ٨٩-٩٠.
- (٣٣) المرجع نفسه ، ص ٩٠.
- (٣٤) المرجع نفسه ، ص ٩٨.
- (٣٥) المرجع نفسه ، ص ١٠٨.
- (٣٦) جبار ، رينيه ، اكباش الفداء ، ترجمة : منار رشيد أنور ، دار شرقيات للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ١٩.
- (٣٧) المرجع نفسه ، ص ٥٠.
- (٣٨) الطuan ، الفكر السياسي ، ص ٢٨٥ وما بعدها.
- (٣٩) فرويد ، سigmوند ، موسى والتوكيد ، ص ٦ ، ترجمة : جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص ١٣.
- (٤٠) رشيد ، فوزي ، الشرائع العراقية القديمة ، ط ٢ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٢٦.
- (٤١) المرجع نفسه ، ص ١١٣.
- (٤٢) اسماعيل ، شعلان كامل ، الحياة اليومية في البلاط الملكي الأشوري خلال العصر الأشوري الحديث (٩١١-٦١٢ق.م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ص ٤٣.
- (٤٣) الطuan ، الفكر السياسي ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦.
- (٤٤) المرجع نفسه ، ص ٣٤٥.

